((**لَا تُعِينُوا الشَّيْطَانَ عَلَى أَخِيكُمْ** ))

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

(( الأولى ))

«لَا تُعِينُوا الشَّيْطَانَ عَلَى أَخِيكُمْ»

تعالوا بنا معاشر المؤمنين لنرحل إلى مدينة رسول الله فنقف على هذا المشهد المهيب، الذي خلده التاريخ، ودونته السنة، وحدّث به الخليفة الراشد والصحابي الجليل عمر بن الخطاب فقال: كان هناك رجلاً اسمه عبدالله وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ : «لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إلا إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» رواه البخاري .

وفي رواية قال رسول الله : «لاَ تَقُولُوا هَكَذَا، لاَ تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ» رواه البخاري . وفي رواية «وَلَكِنْ قُولُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ» رواه أصحاب السنن وصححه الألباني .

الله أكبر ...

ما أعظمه من نبي ! وما أجمله من توجيه .

ما هذه الرحمة ؟ ما هذا الخلق الرائع ؟

رجل يشرب الخمر ثم يجلد، ثم يشرب الخمر ثم يجلد، ثم يشرب الخمر ، فلا يزيده الجلد إلا شرباً للخمر.

والخمر أم الخبائث، وشراؤها، وبيعها، وشربها من كبار الذنوب، بل قال النبي متوعّداً شاربها: ((مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ، فَسَكِرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ، دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ، فَشَرِبَ فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ، دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ، فَشَرِبَ فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الخبال؟ قال: "عصارة أهل النار" )) رواه النسائي وصححه الألباني .

وهذا الرجل يشرب الخمر في مدينة رسول الله وفي أفضل القرون، وفي عهد رسول الله ، ويجلد مراراً وتكراراً، ثم يؤتى به إلى رسول الله المرة تلو المرة شارباً الخمر، فغار الصحابة من حاله، وغضبوا على انتهاكه لحرمات الله، فدعا بعض الصحابة عليه وزجروه، ونهروه، وإذا به رسول الله يقف ذاباً عن شارب الخمر، فيقول: «لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» رواه البخاري .

«قُولُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»

يا لله العجب !! رجل يسكر ويشرب الخمر تكراراً ومراراً ، ورسول الله يقول لأصحابه : «قُولُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ» .

نعم .... «لَا تُعِينُوا الشَّيْطَانَ عَلَى أَخِيكُمْ»

فأعوان الشيطان هم الذين يفرحون بإساءة المسيء، وخطأ المخطئ ، وذنب المذنب ، وغواية المهتدي ، أعوان الشيطان هم الذين يتتبعون العورات ، ويفرحون بالزلات ، فلا يسترون لمسلم عورة ، ولا يرحمون لمخطئٍ زلة .

ها هو رسول الله يقول لأصحابه :

«لَا تُعِينُوا الشَّيْطَانَ عَلَى أَخِيكُمْ»

بل ويحثّهم على الدعاء له : «قُولُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ» .

يا عبدالله ..

تخيل نفسك أنك ذاك الرجل الذي زلّت به القدم، وأسقطك الضعف البشري في الذنب والخطيئة، وجيء بك لتعاقب وتجلد أمام الملأ، ورأيت الناس يسبّون ويشتمون، ويلعنون ويسخطون، إلاّ واحداً من هؤلاء الناس يقول : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ .

ألا يأسر قلبك ذلكم الرجل برحمته ؟

ألا تلامس دعواته بشاشة قلبك ؟

كم هي معاني الحب والعطف التي استقرّت في قلبك تجاه هذا الرجل ودعائه ؟

قارنها بالذين يسبون ويشتمون ، ألا يدعوك ذلكم الرجل بدعواته ورحمته بك للتوبة والإنابة ؟

نعم يا كرام ..

لا نكن عونا للشيطان على بعضنا، فأعوان الشيطان لا يحبون من تائبٍ توبة ، ولا يرجون لمخطئٍ رحمة ، يحدّث الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود فيقول : أُتِيَ رسول الله بِسَارِقٍ فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ فَكَأَنَّمَا أَسِفَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كَرِهْتَ قَطْعَهُ، قَالَ: «وَمَا يَمْنَعُنِي، لَا تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ إِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ حَدٌّ إِلَّا أَنْ يُقِيمَهُ، إِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني .

يا قوم .. هذا سارق يسرق أموال الناس ، وشهد عليه الشهود ، وثبتت التهمة عليه ، والنبي يقول : «لَا تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ»

وهذا أبو الدرداءِ يَمُرُّ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَصَابَ ذَنْبًا وَكَانُوا يَسُبُّونَهُ، فَقَالَ: " أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَجَدْتُمُوهُ فِي قَلِيبٍ أَلَمْ تَكُونُوا تَسْتَخْرِجُونَهُ؟ " قَالُوا: بَلَى. قَالَ: " فَلَا تَسُبُّوا أَخَاكُمْ، وَاحْمَدُوا اللهَ الَّذِي عَافَاكُمْ "، قَالُوا: أَفَلَا نَبْغَضُهُ؟ قَالَ: " إِنَّمَا أَبْغَضُ عَمَلُهُ فَإِذَا تَرَكَ فَهُوَ أَخِي "

نحن بحاجة يا كرام أن لا نكون صفّاً مع الشيطان على إخواننا ، في التشهير بأخطاء بعضنا ، وفضح من قارفها وارتكبها، فالتشهير والفضيحة يكسر الحواجز ، ويدفع العبد إلى الجرأة على انتهاك المحارم، فالستر علاج يغيظ الشيطان ، والله يحب الستر

قال رسول الله : " إن الله ستير يحب الستر "

رواه أبو داود وصححه الألباني في الإرواء 2335

قال بعض السلف : إني لأرى الشيء أكرهه ، فما يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن أبتلى به، وقال أخر : كنّا نحدث أن أكثر الناس خطايا أفرغهم لذكر الناس .

يا قوم إن الشيطان عدونا المبين فيفرح بالسقطات، والهفوات، والموبقات، وتتبع العورات ، والحديث عن المنكرات، وتجاهل الحسنات، والطيبات فهو يجري في عروقنا ودمائنا مجرى الدم ، فحذاري ثم حذاري أن نكون عوناً للشيطان على إخواننا ، فهذا لا خير فيه ، وهذا فاشل ، وهذا منافق ، وهذا كسول ، وهذا منتكس ، والشيطان يرقص طرباً بالهمز ، والغمز ، واللمز في بعضنا فهو يجري منّا مجرى الدم ، في صحيح البخاري أنَّ صَفِيَّةَ < زَوْجَ النَّبِيِّ جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ تَزُورُهُ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي المَسْجِدِ، فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ مَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَرِيبًا مِنْ بَابِ المَسْجِدِ، عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ، مَرَّ بِهِمَا رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، ثُمَّ نَفَذَا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ : «عَلَى رِسْلِكُمَا»، قَالاَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ، اللَّهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا» متفق عليه .

يقول ابن حجر ~ : إنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَنْسُبْهُمَا إِلَى أَنَّهُمَا يَظُنَّانِ بِهِ سُوءًا لِمَا تَقَرَّرَ عِنْدَهُ مِنْ صِدْقِ إِيمَانِهِمَا وَلَكِنْ خَشِيَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُوَسْوِسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ذَلِكَ لِأَنَّهُمَا غَيْرُ مَعْصُومَيْنِ فَقَدْ يُفْضِي بِهِمَا ذَلِكَ إِلَى الْهَلَاكِ فَبَادَرَ إِلَى إِعْلَامِهِمَا حَسْمًا لِلْمَادَّةِ وَتَعْلِيمًا لِمَنْ بَعْدَهُمَا إِذَا وَقَعَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ . فتح الباري (4/280) .

يا كرام ..

كم من صور يرتكبها أحدنا فيكون عوناً للشيطان على أخيه ، فالمرأة التي تقف ندّاً لزوجها بفعلها وقولها ، عند ضعفه ، وغضبه ، وغياب عقله ، فتقف لزوجها صفًّا مع الشيطان، وقد انتفخت أوداج زوجها حتى يضرب الشيطان على لسانه فَيَطْلِقُهَا وَيُطَلِّقُها فكانت عونًا للشيطان على فراق زوجها، وهدم بيتها ، وشتات أولادها .

المرأة التي يرغب زوجها في معاشرتها ، والبيات معها وفي داخله جمرةٌ خفية ، ونارٌ تتأجّج وهي لا تمكّنه من نفسها تارةً بعدم رغبتها ، وتارة بتعبها ، وتارةً بإنشغالها ، ألا تكون بفعلها هذا عوناً للشيطان على زوجها ؟! فينسى الفضيلة، ويقع في الرذيلة والنبي يقول : «إِذَا الرَّجُلُ دَعَا زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُّورِ» رواه الترمذي وصححه الألباني .

لماذا هذا التوجيه؟

حتى لا يقتنص الشيطان ضعف زوجها، وثوران شهوته، فيهوي به في تنور الفاحشة وفي تنور جهنّم، فتكون المرأة عونا للشيطان على زوجها .

الوالد الذي ألقى بوسائل التقنية والهدم بين يدي أولاده وبناته دون رقيب ولا حسيب ألا يكون عونا للشيطان على انحراف أفكار أولاده وفساد أخلاقهم ؟

الأب الذي استحوذ عليه الغضب فأبعد ابنه عن حبّه ، ولطفه ، وطيب كلامه ، بل ربّما قام بإبعاده وطرده من بيته ، ألا يكون بهذا الفعل عوناً للشيطان على ابنه فتتلقاه شياطين الإنس فيقع فريسة لظلمات بعضها فوق بعض ؟

**أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم**

(( الثانية ))

حاطب بن أبي بلتعة صحابي جليل تزلُّ به القدم ويرتكب ذنباً عظيماً ، وخطأً شنيعاُ ، وخيانة كبرى ، ويفشي سرّ رسول الله بفتح مكة ، فاتهمه الصحابة بالنفاق ، وقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ >: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَهُ يا رسول الله ، فَقَالَ : " يَا عُمَرُ، وَمَا يُدْرِيكَ، لَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ " متفق عليه .

وحين طعن بعض الصحابة في مالك بن الدخشم فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: ذَاكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " لاَ تَقُلْ ذَاكَ أَلاَ تَرَاهُ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ "

ضع نفسك مكان أخيك الذي زلّت به القدم ، ووقع في الذنب والخطأ ، كيف تحبُّ أن يعاملك الناس ؟

تخيل حال حاطب وهو يستمع إلى رسول الله وهو يستمع لرسول الله وهو يذب عنه ، ويذكر محاسنه ومناقبه فهو من فرسان بدر ، " وَمَا يُدْرِيكَ يا عمر ، لَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ "

إنّ تتبّع العورات ، وكشف المساوئ ، وبثّ المقاطع ، ونشر المنكرات الخفيّة ، وتفخيم الأخطاء ، والفرح بزلّات الإخوان ، واحتقار العصاة ، ونشر الفتاوى الشاذّة ، والحديث عن جرائم المجتمع الظاهرة والباطنة ، هو والله وتالله من إعانة الشيطان على إخواننا

إذا رُمتَ أنْ تَحيا سَليماً مِن الأذى

وَ دينُكَ مَوفورٌ وعِرْضُكَ صَيِنُّ

لِسانُكَ لا تَذكُرْ بِهِ عَورَةَ امرئٍ

فَكُلُّكَ عَوراتٌ وللنّاسِ ألسُنُ

وعَيناكَ إنْ أبدَتْ إليكَ مَعايِباً

فَدَعها وَقُلْ يا عَينُ للنّاسِ أعيُـنُ

وعاشِرْ بِمَعروفٍ وسامِحْ مَن اعتَدى

ودَافع ولكن بالتي هِيَ أحسَنُ

وها هو ابن عمر يقول: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: « لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» رواه الترمذي وصححه الألباني .

**انتهت الخطبة**